

الموسيقى العربية والموسيقى الغربية

توطئة — ماهى الموسيقى؟ — أبرز ناحية فى الموسيقى العربية —

فقر الموسيقى العربية — التماوت والمميزات بين الموسيقتين —

النهضة الموسيقية العربية

توطئة

ليس من ينكر تقدم الموسيقى العربية ، تقديماً محسوساً ، تلمسه من خلالها ،
ونبوغ أفراد جروا شوطاً بها ، اذ هذبوا ، وأصلحوا ما فسد وانحط منها ؟ وابتكروا
(شيئاً) من عندياتهم واقتبسوا من الموسيقى الغربية ، ما (وجدوه) ضرورياً ، ومناسباً
لها ، حتى غدت كما هى الآن

كانت الموسيقى العربية فى العصر العباسى ، فى حالة ازدهار ، ورتقى ، حتى
بلغت شأواً من الدقة ، والسمو ، ولكن بعد أن دالت الدولة العباسية ، تمرب إليها
الانحطاط ، والضعف شيئاً فشيئاً ، حتى وصلت منذ قرن ونيف ، الى أقصى درجات
الفساد والتأخر ، الى أن قبض لها (عبيد الحمولى) الذى ارجع لها (بعضاً) من غابريتها .
(وشيئاً) من مكانتها السالفة فى عالم الموسيقى ، ومنذ ذلك الحين ، بدت طلائع عصر
جديد فى الموسيقى الشرقية ، وظهر بها نوابغ قليلون فى سوريا ، ومصر ، والمهجر ، تدرجوا
بها من الملمات الى الحياة

ماهى الموسيقى ؟

ان لفظة «موسيقى» يونانية الاصل وهى فن ، أى انها لا تقتصر على العزف
لا غير ، بل تجمع فنى الغناء ، والتلحين أيضاً
وقد اطلقت لفظة «موسيقى» على كل من انضم تحت لواء الآلات الموسيقية ،
على اختلاف أنواعها ، من عازف ، ومغن ، وملحن

أبرز ناحية فى الموسيقى العربية

ان الموسيقى العربية مشهورة برقتها ، ونوعيتها ، وجمالها ، ويقال على الأجمال انها
اشتهرت بأمر واحد بارز ، هو : «الكآبة»
فأنك لترى الكآبة ظاهرة فى جميع الألحان ، والانغام ، حتى فيما كان منها منيراً

ان هذه النعمة القديمة ، قد ورثناها عن أيام العرب ، يوم كان المغنى يتغنى
متغزلاً بحبيب ، أو باكياً لموت قريب ، أو لفراق عزيز ، فانك ترى الكتابة
متجالية في جميع المانى والألحان ، حتى لتكاد تتناسها ، وتشعر بتسربها الى
نفسك .

أما اليوم فيجب أن تطلق الموسيقى العربية من قيودها ، ومن محيطها
المحدود ، حيث تعددت المنازع ، والمناحي ، واختلفت العواطف ، والاهواء ،
ويجب أن تسير مع رغائب الانسان ، ومناحي حياته

فالموسيقى العربية ، مختصرة على التأوه ، والبكاء ، والنحيب والكتابة ،
والخرن ، والعواطف ، والشواعر ، فى المعنى ، والمبنى ، واللحن ، فليس الذنب هنا
على المغنى أو العازف وحدهما ، بل وعلى الشاعر أيضاً

ومما يؤسف له أن تستمر الموسيقى العربية ، مقيدة بقالب ، وأوضاع ،
وأساليب قديمة ، بالية ، سقيمة ، لا يتجاوزها الموسيقيون ، أو يتكرونها سواها ،
فانك ان شئت ، أن تستروح النفس بسمع غناء ، فالويل كل الويل لك ، حيث
جنيت على نفسك ، لأنك وأنت تصنى الى المغنى ، تصرف وقتك ، وينفذ
صبرك ، لتراه ينتهى من آه آه آه باليل يا عين . . .
فاتحاً فمه ، يطمط السكامة كأنها زئبق أو مطاط ، صارخاً بأعلى صوته ، مردداً ، شاكياً ،
باكياً ، متأوهاً ، منادياً ، (العين) و (الليل) عشرات المرات ، حتى يطغى نور
العيون ، ويزعج عفاريت الليل ولكنك مع هذا الصبر الطويل ، لاتنفوز
ببغيتك ، ويغير لك هذه النعمة ، المترددة ، لأنه لا يرحم السامعين ، ولا يشفق
عليهم من الاشياء بصياحه المزعج المتواصل ، وترداده يائين باليل . . .
— الا بعد طويل أمن — وحتى لو كانت كل (صرخة) تخلف نغماً ، فإن
النفس لتسام كثرة ترداد الكلام ، ولو اختلف اللحن قليلا

وأما فى العزف على آلة ما ، فلا تستطيع التلصص من الكتابة البارزة
فى اللحن

فقر الموسيقى العربية

تفتقر الموسيقى العربية الى قوة التوليد ، والتفنن ، والابتكار ، في الاساليب ، والافعال ، والامواضع ، لكي لا يمل السامعون متى غنى مغن ، أو عزف عازف ، من الاساليب القديمة الرثة ، التي أصبح يمجها الذوق ، ويملها السمع والموسيقى العربية في أشد الافتقار ، وميس الحاجة الى الاقتباس من الموسيقى الغربية ، والاستفادة من نوتاتها ، وروائعها وقبها الكلى ، كما اقتبس الغربيون ، موسيقاهم عن العرب ، يوم كانت موسيقاهم في أبان نهضتها ، وقد انعكست الآية الآن ، وغدونا في أشد الحاجة للاقتباس ممن كانوا يقتبسون منا بالأمس ! ... وهكذا الدهر قلب ...

لم تبلغ الموسيقى العربية ، درجة سامية ، تجعلنا نقارنها بالموسيقى الغربية ، التي بلغت الى أسنى ما بلغه الفن من أيام (باخ) و (بيتهوفن) و (موتسارت) و (هايدن) الى الآن

ويقال على الاجمال في الموسيقى العربية ، ان ليس فيها من النبوغ والعبقرية الا النزر اليسير ، وأما في الفن والصناعة ففيها الكثير ، اذ لا تصلح الموسيقى بدونهما

وأما النوابع فقليلون ، وانهم لم يصلوا بها الى ما بلغت الموسيقى الغربية من الارتقاء ، والتفوق ، والعظمة ، وقد قال لى الموسيقى النابغة وديع صبرا مخترع البيانو الشرقى:

« وقد تبلغ الموسيقى العربية ، شأوا الموسيقى الغربية بعد خمسين سنة »
ولكنى لا أوافقته مطلقاً على هذا القول ، حيث أن بلوغ الموسيقى الغربية قمة المجد ، كانت نتيجة درس ، وعراك ، واستعداد ، وابتكار اربعمئة سنة ، وظهور نوابع كثر فيها ، جعلوها في هذا المستوى الراقى — فأين نحن من الموسيقى الغربية والنهضة الموسيقية ، ولما نزال في المهيد بعد ؟ وأين النوابع عندنا ؟ وأين أعمالهم الموسيقية الخالدة ؟ وما هي ثقافتهم الموسيقية ؟ وما يعرفون عن الموسيقى الغربية ، واختلاف انواعها ودرجاتها ، وتعدد فنونها وأصاليبها ؟ وتاريخ الموسيقى ، وتاريخ

الموسيقين ؟ وتاريخ الآلات الموسيقية ، وتطور الفن الموسيقى منذ نشأته الى الآن ؟ ماذا يعرفون ويعلمون عن الموسيقى ؟ هل تجاوزوا عدة فنون بها ؟ هل يعلمون أو يعرفون أن يعرفوا أو يغنوا ويلحنوا غير ألحان : (القصائد) ، (الادوار) ، (المواويل) ، (التواشيح) ، (البشارف) ، (الطقاطيق) ، (المنولوجات) ، (المارشات) ، (التقاسيم) ، (الرقص) ، (السماعيات) ؟ — هل هذه كل فنون الموسيقى ؟

أين (الاورا) و (الاوريت) و (السوناتا) و (الارناد) و (السيمفوني) و (الجاز) و (تريو) و (كوارتت) و (سكنت) و (سبت) و (ستت) و (اوكتت) و (نونت) و (كورنسترو) و (فنتازيه) و (رابسودي) و (كبرى شيو) و (فيوج) و (أوفرتيرو) وغيرها من فنون الموسيقى الراقية ، التي تعبر عن نفسية الانسان وعواطفه — في موسيقاهم ؟ فلا يجب القول اذاً أن الموسيقى العربية تبلغ شأ وشقيقتها الموسيقى الغربية بعد خمسين سنة . لان هذا القول هراء ، من الخرق التسليم به ، لانه لا يقوم على حقيقة راهنة ، وفي رأي أن الموسيقى العربية (قد) تبلغ مبلغ الموسيقى الغربية بعد مائة سنة

التفاوت والمميزات بين الموسيقىتين

تتفوق الموسيقى الغربية على الموسيقى العربية . بعدة مميزات : في الصنعة ، والفن وقوة التوليد ، والتركيب ، والدقة ، والاتقان ، والتقن ، والابتكار ، والسمو ، والخلود ، والكمال ، والنبوغ والعبقرية ، والعلامات الموسيقية (التنوط) وتعدد المرامي والمنازع وكثرة فنونها ، والحماسة

وأما الموسيقى العربية ، فتتفوق على الموسيقى الغربية : بالركة ، والجمال ، واللطافة ، والحس ، والشعور ، والعاطفة ، والحزن ، والكآبة ، والشجوى والطرب ، والصبابة ، والمناجاة ، وان في ديوانها ، أربعة وعشرون (٢٤) رباعاً — وديوان الموسيقى الغربية اثنا عشر (١٢) نصفاً — وان مافي العربية ، ليس في الغربية ، من الارباع ، وكثرة الاوزان ، اذ أن الثانية انصاف ، وهذا ما يعرف بداهة

فالتفاوت عظيم بين الموسيقتين ، من حيث هذه المميزات التي دون
منها ، انحطاط الموسيقى ، وتقهرها ، وموت الفن

ولكن لا أقول إن الموسيقى العربية ، خالية من الاوصاف التي تنسب بها
لموسيقى الغربية ، إنما أقول أن بها بعضاً فقط ، وهذا (البعض) ليس متقناً ؟
ومتوقفاً بقوة ، والا لبلغت الموسيقى العربية شأنًا من السمو ليس لها الآن
النهضة الموسيقية العربية

ونرى الآن بوادر نهضة طيبة — ولكنها بطيئة — في فن الموسيقى العربية ،
حيث ظهر بها موسيقيون يحاولون الاقتباس من الموسيقى الغربية والجرى على
منوال نوابغها ، والاندوفى التأليف حذوهم ، وفعلوا قد أفادوا قليلاً ، وقد يفادون
كثيراً ، ومن فجر نهضتهم اعتمدوا على (النوط) — وليس على السمع كما كان
يفعل الموسيقيون قديماً — في التأليف والتلحين ، والعزف ، وادخلوا (النوط)
الى الموسيقى العربية ، حيث أصبح التخاطب الموسيقى شائعاً بها ، وراحوا يؤلفون ،
ويكتبون ، ويلحنون به ، ويعزفون بواسطته ، وقد أصبحوا الآن على صلة راهنة
بالموسيقى الغربية ، وفي العالم أجمع

وما يسر كل عربي وكل شرفي ، محاولة هؤلاء الموسيقيين ادخال نوعي (الاوبرا)
و (الاوبريت) الى الموسيقى العربية ، وفعلوا لحنوا بعض (اوبرات) نجحوا فيها
قليلاً ، وكثيراً من (الاوبريت) نالت نجاحاً أعظم ، لأنها من نوع (اوبريت
كوميك) — في مصر وسوريا

وقد نظم شوقي بك أوبرا انطونيوس وكليوباتره ، لحنها الموسيقى محمد
عبد الوهاب ومثلت في مصر مرات عدة ، ونالت نجاحاً لا بأس به

ونظم الدكتور زكي أبوشادي عدة أوبرات : (احسان) (الآلهة) (اردشير)
(اخناتون) (الزباء) لم تلحن جميعها . ونظم الدكتور علي الناصر أوبرا (سلوى)
لم تلحن أيضاً . ونظم الخوري مارون غصن أوبرا — أسماها (الملكان) لحنها
وديع صبرا في بيروت ، وقد مثلت مراراً ، ونالت نجاحاً جعل الصحف تلهج

بالثناء على ناظمها وملحنها ، وعلمت من حولها ضجة عظيمة في هذه الصحف من الكتاب والنداد

وقد لحن موزيس نجار الموسيقى السورى — نزيل باريس اليوم ورئيس
جوقة الموسيقى في إحدى الجوقات الموسيقية بها — عدة أوبرات ولكنها
افرنسية وهذا الموسيقى ، يلحن ألحاناً عربية كما يلحن ألحاناً غربية
ولحن كليل شاهبير ٣٥ رواية (اوپريه كوميك) وترجم (توسكا) الى
العربية وقد وضع لها ألحاناً عربية ، ولكنه لم يجد لها أصواتاً كفاء لغنائها فلم
تمثل الآن



هذه بوادر مباركة في النهضة الموسيقية ، ترفع هذا الفن العربى ، الى الذروة
التي يستحقها ، وعسى ان ينشط الموسيقيون في القطرين المصرى والسورى ، الى
الهدم ، فالبناء والاصلاح فى الاساليب ، والاوزاع ، والالخان ، والفنون الموسيقية
الغربية ، والاقتراس من الموسيقى الغربية ؟ لتسير موسيقانا وموسيقاهم جنباً الى
جنب ، فنرجع لها بمجدها الغابر ، ونفاخرهم بموسيقانا وتنافسهم فى دولة الفن
والموسيقى .

منير الحسامى

بيروت